

## فيروس الكورونا والثائية المسيحية

الأرشمندريت كيريل هوفورون<sup>1</sup>

أستاذ محاضر في جامعة لويولا ماريمونت ومدير معهد هافينغتون المسكوني

في هذا المقال المقتضب، سأحاول أن أشرح علام يستند الاعتقاد الشائع على نطاق واسع، بأن فيروس الكورونا لا يمكن أن ينتقل من خلال الاشتراك بالمناولة المقدسة.

هذا الاعتقاد يقوم على افتراض جسد ودم المسيح كخير مطلق، أمّا الفيروس فهو عدوى شريرة. فالخير إذاً لا يمكنه أن ينقل الشر.

ولكن، إن عدوى هذا الفيروس تطالنا وحدنا، وحتىّ أمّا لا تطالنا كلّنا، لأنّ معظم الناس يتغلّبون عليها دون أن يلاحظوا ذلك. وهذا الفيروس، على غرار أيّ كائن حيّ دقيق أو مرئي (micro- or macro-organism) هو في حدّ ذاته جزء من خليقة الله. الفيروس بطبيعته شيء جيّد، مثل أيّ مخلوق، كونه حقيقةً فيزيائيةً وجزءاً من الطبيعة (أنظر تكوين ١ : ٢١).

نحن نعتبر أنّ الفيضانات والبراكين والأعاصير شريرة، لكنّها بالحقيقة عمليّات طبيعية، وهي بالتالي ليست شرّاً بحدّ ذاتها. الأفاعي والعناكب التي تعضّنا تميّتنا أيضاً، لكنّها خيرٌ بطبيعتها.

إلى جانب الفيروسات والبكتيريا وغيرها من الكائنات الحيّة الدقيقة الأخرى، يشكّل فيروس الكورونا جزءاً من الأنظمة الإيكولوجيّة التي خلقها الله. لستُ بصدد الكلام عمّا إذا كان الله قد خلق هذه الأنظمة الإيكولوجيّة بشكلٍ مباشرٍ أو أمّا ظهرت نتيجة قوانين التطور التي وضعها الله. لكنّي أقول فقط أنّ بعض أجزاء هذه الأنظمة الإيكولوجيّة هي مفيدة لنا، والبعض الآخر ليس كذلك. غير أنّها، بغضّ النظر عن ذلك، هي جميعها جزء من خليقة الله. علاوةً على ذلك، فإنّ فيروس

---

<sup>1</sup>تابع الأرشمندريت سيريل هوفورون دراساته في أكاديميات لاهوتية أرثوذكسية في كييف وأثينا قبل أن يحضّر شهادة الدكتوراه في دورهام. وقد

علم في موسكو وكييف وشغل مناصب عدة في بطريركية موسكو. <https://yale.academia.edu/CyrilHovorun>

الكورونا، مع المخلوقات الأخرى، مشمولٌ بمفهوم الشَّمْل (recapitulation) الذي يصفه القديس بولس في رسالته إلى أهل أفسس: "فيجمع كلُّ شيءٍ تحت رأسٍ واحدٍ هو المسيح" (أفسس ١ : ١٠).

ويشرح القديس مكسيموس المعترف ذلك في مقالته السابعة كالتالي: "وهو (أي المسيح) يشمل كلَّ الأشياء في نفسه، لأنَّ إليه يعود وجودُ كلِّ الأشياء واستمراريَّة وجودها، ومنه جاءت كلُّ الأشياء إلى الوجود بطريقةٍ ما ولهدفٍ معيَّن" (Ambiguum 7). ليست كلُّ الأشياء التي سُشملُ في المسيح متصالحةً مع بعضها البعض حالياً. منها من يقتل غيره، كالإنسان الذي يميثُ كائناتٍ أخرى، أو حتَّى أخاه الإنسان، في حين أنَّ كائناتٍ أخرى، دقيقةٍ أو مرئية، من بينها فيروس كورونا، تقتلُ البشر.

كانَ جسدُ المسيح القائم هو نفسُ جسدنا. بحسبِ القديس أثناسيوس الإسكندري: "فالكلمة لم يكن قابلاً للموت، لكونه غيرَ مائتٍ، فاتَّخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت، لكي يقرِّبه باسمِ الجميع، وتألَّم هو نفسه عن الجميع" (في التجسد ٢٠). وبما أنَّ أجسادنا وجسدَ المسيح تتشاركُ بشكلٍ كليٍّ الطبيعةَ البشريَّةَ الواحدة، فإنَّ الكائناتِ الحيَّةَ الدقيقة التي تعيشُ في أجسادنا، تعيشُ هي نفسها في جسدِ المسيح. وبالتالي، لا توجدُ أسبابٌ للاعتقادِ بأنَّها تختفي من جسده بعد قيامته. أمَّا الفرقُ بين جسدِ المسيح وأجسادنا، فهو أنَّ تلك الكائناتِ الحيَّةَ الدقيقة لا تستطيعُ إماتته.

غيرَ أنَّه بإمكانِ هذه الكائنات أن تقتلُ أجسادنا لأنَّ أجسادنا لم تقم بعد. بالإضافة إلى أنَّها يمكنُ أن تنتقلَ من خلالِ جسدِ المسيح الإفخارستي، لأنَّها ليست شرّاً بطبيعتها، ولكنها جزءٌ من خليقةِ الله. الأمرُ نفسه ينطبقُ مثلاً على البنيسلين. يعرفُ الكهنةُ جيِّداً أنَّ جسدَ المسيح الإفخارستي معرَّضٌ لأنَّ يتعفن. لكنَّ هذا العفنَ ليس فساداً، وهو في الواقع لا يطلُّ إنسانيَّةَ المسيح. الفسادُ هو فسادُ الخطيئةِ والموت، أمَّا البنيسلين (العفن) فهو ليس خطيئةً ولا موتاً، بل مجموعةٌ كائناتٍ حيَّةٍ أتضح فيما بعد أنَّها قادرةٌ على الحفاظِ على حياتنا. فما كان يُعتبرُ "فساداً"، أي عفن البنيسلين، شكَّلَ مضاداً حيويّاً يحفظُ حياتنا. وفي الحالتين، لا تتغيَّرُ طبيعة هذه المخلوقات، فهي كائناتٌ جيِّدةٌ وجزءٌ من خليقةِ الله.

دعونا نعودُ الآنَ إلى أولئك الذين يعتقدون أنَّ الفيروسَ لا يمكنُ أن ينتقلَ عن طريقِ القربان المقدَّس. الخطأُ الأوَّل الذي يرتكبونه يوازي البدعةَ الدوسيتيَّةَ بحيثُ أنَّ الدوسيتيين القدماء كانوا يعتبرون أنَّ جسدَ المسيح يتخطى قوانينَ الطبيعة. وقد وردَ ذلكُ في نصِّ دوسيتيٍّ من مجموعةِ نجع حمادي عن جسدِ المسيح: "كانَ يسوعُ يأكلُ ويشربُ بطريقةٍ استثنائيةٍ، من دونِ

الحاجة إلى التخلُّص من فضلات جسده الطبيعيَّة. كانت لديه قدرةٌ كبيرةٌ على الحصرِ من دون أن تفسدَ الأَطعمَةُ في جوفه، لأنَّه لم يكن يعرفُ الفسادَ" (فالتينوس، مقطع ٣)

وآمنَ الدوسيتيون أيضاً، وبعدهم أتباعُ بدعةِ أوطيخا، بأنَّ إنسانيةَ المسيح كانت مختلفةً بطبيعتها عن إنسانيتنا، رغمَ أنَّها كانت تبدو مثلها. بالتالي، فبالنسبة لهم، إنَّ إنسانيةَ المسيح لم تكن كطبيعتنا البشرية ولكن شيئاً آخر. ثانياً، إنَّ الذين يعتقدونَ بما سبق ذكره عن الجسدِ الإفخارستي، يَقعونَ في خطأ المانويين. وتقومُ عقيدَةُ هؤلاء على ثنائيةٍ تقسمُ العالمَ المادي بينَ الخيرِ والشرِّ. ويقولُ مزموزُ مانويِّ محفوظٌ باللُّغة القبطية في مخطوطة مدينة ماضي : "عندما جاء الروح القدس، كشفَ لنا طريقَ الحقِّ وعلمنا أنَّه هناك طبيعتين، طبيعةُ النور وطبيعةُ الظلمة، مفصولةٌ الواحدة عن الأخرى منذ البدء" (مز ٢٢٣).

وتفترضُ هذه الثنائيةُ أنَّ بعضَ أجزاءِ العالمِ من حولنا هي شرٌّ بجوهرها. من هنا ينطلقُ البعضُ للقول بأنَّ فيروسَ الكورونا هو شرٌّ مماثل. لذلك فهمُ يعتقدونَ أنَّه لا يمكنُ انتقاله من خلالِ المناولةِ في القدَّاس. وتنبعُ هذه الفكرةُ من اعتناقِ لنظريةِ الثنائيةِ عن وعيٍ أو عن غيرِ وعيٍ.

الشرُّ ليسَ في الطبيعةِ ولا يمكنُ غرزُه فيها، لأنَّها بجوهرها خيرٌ. ويشرحُ ديونيسيوس الأريوباغي ذلكَ بقوله : "لا وجود للشرِّ سواء بين الكائناتِ الموجودةِ أو الغيرِ الموجودةِ، كونُ الشرِّ لا يملك ولا يُمنح. فالشرُّ هو انعدامُ الوجودِ، ولا يرثُ الشرُّ في المخلوقاتِ الموجودةِ" (في الأسماءِ الإلهية ٤).

الشرُّ متجدِّدٌ فقط في حريةِ الإنسان، فهو يتجلَّى عندما يتَّخذُ البشرُ خياراتِ خاطئة. من هذه الخياراتِ الخاطئة هو تجاهلُ خطرِ العدوى. لربَّما الشرُّ الحقيقيُّ ليسَ الفيروسُ بحدِّ ذاته، إمَّا في أن يختارَ الشخصُ أن يتجاهلَ قوانينَ الطبيعةِ بدلاً من إظهارِ الحبِّ لجاره، وأن ينضمَّ إلى التجمُّعاتِ وينقلَ العدوى إلى الآخرين بدلاً من البقاءِ في المنزل.

النص باللغة الإنكليزية موجود على هذا الرابط:

<https://publicorthodoxy.org/2020/03/23/covid-19-and-dualism/>